كليـــة الآداب
قسـم التـــاريخ

الطـــب في مصر في العصـــر الرومانـــي

« دراسة تاريخية في ضوء وثائق البردي »

رسالة مقدمة من الباحث

أحـمـــد خفاجـــة رحيِّم

للحصول على درجة الدكتوراه

إشـــــراف

الأستاذ الدكتور
إبراهيم عبد العزيز جندي
أستاذ التاريخ اليوناني الروماني
كلية الآداب – جامعة عين شمس

الأستاذة الدكتورة
نهـــى عبد العال سالـم
أستاذ علم البردي المساعد
كلية الآداب – جامعة عين شمس

القاهرة
١٤٣٧هـ/٢٠١٦م

كلية الآداب
قسم التاريخ

رسالة دكتوراه

اسم الطالب: **أحمد خفاجة رحيم**

عنوان الرسالة: **الطب في مصر في العصر الروماني «دراسة تاريخية في ضوء وثائق البردي».**

لجنة الإشـراف

١- **أ.د/ إبراهيم عبد العزيز جندي.**
أستاذ التاريخ اليوناني الروماني كلية الآداب – جامعة عين شمس.

٢- **أ.م.د/ نهى عبد العال سالم.**
أستاذ علم البردي المساعد كلية الآداب – جامعة عين شمس.

تاريخ البحث: / / ٢٠

الدراسات العليا: **أجيزت الرسالة بتاريخ**

ختم الإجازة: / /٢٠١٦

/ /٢٠١٦

موافقة مجلس الكلية **موافقة مجلس الجامعة**

/ /٢٠١٦ / /٢٠١٦

كلية الآداب
قسم التاريخ

لجنة المناقشة والحكم

اسم الطالب: **أحمد خفاجة رحيم**

عنوان الرسالة: **الطب في مصر في العصر الروماني «دراسة تاريخية في ضوء وثائق البردي».**

لجنة المناقشة والحكم:

١- **أ.د/ إبراهيم عبد العزيز جندي.**
أستاذ التاريخ اليوناني الروماني كلية الآداب – جامعة عين شمس.

٢- **أ.د/ السيد رشدي محمد.**
أستاذ التاريخ اليوناني الروماني وكيل كلية الآداب – جامعة بنها.

٣- **أ.د/ مصطفى قنديل زايد.**
أستاذ ورئيس قسم الآثار – كلية الآداب – جامعة عين شمس.

٤- **أ.م.د/ نهى عبد العال سالم.**
أستاذ علم البردي المساعد كلية الآداب – جامعة عين شمس.

تاريخ المناقشة: ٢٠١٦/٤/٣٠م

تقدير الرسالة:

رئيس القسم **وكيل الكلية للدراسات العليا** **عميد الكلية**

مستخلص باللغة العربية

تعرض المجتمع المصري لتفشي كثير من الأمراض، بالإضافة إلى أنواع متعددة من الإصابات وقد ارتبطت هذه الأمراض بعدة عوامل أدت إلى ظهورها أو ساهمت في انتشارها. وكان للأمراض والأوبئة أثر كبير في الأحوال الاجتماعية – الاقتصادية بوجه عام. قامت الدولة بالإشراف على الخدمة الطبية المركزية في الإسكندرية وانحصرت جهودها في الإشراف على النشاط الطبي العام الذي تمثل في الأطباء العموم في سائر عواصم الأقاليم بالإضافة إلى بعض الممارسين المهنيين الذين استفادت الدولة من خدماتهم عند اللزوم. لقد كانت مهنة الطب من المهن الراقية إلى حد كبير وقد تمتع الأطباء بمكانة متميزة من حيث التعليم والثقافة والأوضاع الاجتماعية والقانونية وقد انحصرت هذه المهنة في كثير من الأحيان بطبقات معينة وشرائح اجتماعية مرموقة في المجتمع المصري. تعددت وسائل الشفاء في العصر الروماني حيث عرفت الوسائل العلمية التي تبنت المدارس العلمية العمل بها ولعبت مدرسة الإسكندرية دورًا بارزًا في الاتجاه إلى الطب العلمي منذ عصر البطالمة ومن بعدهم الرومان، في الوقت الذي وجدت وسائل أخرى للشفاء تمثلت في الطب الشعبي والطب المشعوذ الذي يعتمد على الطب الديني والسحري. وتنقسم هذه الدراسة إلى ثلاثة فصول تناول الفصل الأول "الأمراض وأسبابها"، بينما تناول الفصل الثاني الأطباء وممارسة المهنة، وأخيرًا تناول الفصل الثالث العلاج بشتى أنواعه.

الكلمات المفتاحية:

(الطب المصري القديم – الطب اليوناني – مدرسة الإسكندرية الطبية – الأمراض – الأدوية – العلاج – الأطباء – الطب العلمي – الطب الشعبي – الطب غير العلمي)

مقدمة

مقدمة

عانت الإنسانية من الأمراض على مر العصور، وكانت مهنة الطب لها بالمرصاد متبادلة معها كثير من النجاحات والإخفاقات، وقد أفرزت تلك المعاناة تراثًا هائلاً من مبادئ علوم الطب الرائعة في العالم القديم، والتي تأسس عليها مختلف علوم الطب والعلاج في العصر الحديث، وكانت مهنة الطب ولازالت من المهن الراقية التي تهدف لنصرة الإنسانية في صراعها الطويل ضد الألم والمعاناة.

ليس على المرء سوى أن ينظر إلى ذلك التراث الطبي الذي خلفته الحضارات القديمة بمزيد من الانبهار والتقدير عند قراءة مفرداته وتفاصيله، ويزيد من ذلك التبجيل سعي القدماء الحثيث نحو التبادل والتفاعل المتنامي في مجال العلوم الطبية ومجال مكافحة الأمراض لتصب سائر الحضارات القديمة تراثها الطبي في بوتقة واحدة محتفظة في نفس الوقت بخصوصيتها التاريخية.

شرع الباحثون منذ فترة مبكرة في دراسة الحضارات الطبية القديمة في ضوء المصادر الأدبية؛ فبرزت دراسات عدة سلطت الضوء على تراث تلك الحضارات ونهلت من علومها الكثير، ومع تطور الدراسات التاريخية في القرن العشرين وتنامي دور وثائق البردي في إعادة النظر في المعرفة التاريخية كان على الباحثين إعادة قراءة الطب القديم في ضوء هذه الوثائق .

كانت باكورة ذلك الاتجاه هي دراسة "كارل سودهوف" K. Sudhoff، فصدرت دراسته الرائدة عام ١٩٠٩م عن الطب والأطباء في مصر في العصرين البطلمي والروماني في ضوء ما أتيح له من وثائق البردي في ذلك الوقت وكانت هذه الدراسة بعنوان: *Arztliches aus griechischen Papyrus Urkunden Leipzig, Studien Zur geschichte der Medizin, 1909*

وعلى الرغم من ندرة ما أتيح له من برديات عن مجال الطب في تلك الحقبة الطويلة، إلا أن سودهوف تمكن بحرفية رائعة من تقديم كل ما يمكن عن هذه المهنة وربط ذلك بالأوضاع الاجتماعية والدينية والثقافية في تلك الحقبة.

بدأت الجامعات الأوروبية منذ منتصف القرن العشرين في إعادة قراءة تراث مصر الطبي في العصرين البطلمي والروماني في ضوء الوثائق البردية، فظهرت دراسات وأبحاث متعددة عن الطب والأمراض والأدوية والأعشاب وغيرها من مختلف العلوم الطبية والعلاجية، وقد تمخضت عن تلك البحوث المتفرقة دراسات أكثر تخصصت في هذا المجال.

فجاءت دراسة الباحثة الفرنسية "مارجريت هرت راج" *Marguerite Hirt Raj* التي قدمتها كأطروحة للدكتوراه من أهم الدراسات التي قدمت تصورًا عامًا للطب في مصر الرومانية في ضوء وثائق البردي وقد قامت بنشرها باللغة الفرنسية تحت عنوان: *Medecins et Malades de L'Egypte Romaine, Ethide Socio-Legale de la profession medicale et de ses particiens du Ier au IVe siecle op. J-C* وهي صادرة عن ليدن – بوسطن عام ٢٠٠٦م.

تكمن أهمية هذه الدراسة في استنادها على المصادر الأدبية والوثائقية لإعداد دراسة متخصصة عن الطب في مصر خلال العصر الروماني، إلا أنها قد كرستها أساسًا على دراسة الأطباء وأوضاعهم بشكل خاص – متناسية الهدف الرئيسي من الدراسة – ومن هنا جاءت الدراسة غير متعمقة في كثير من جوانبها خاصة فيما يخص دراسة الأمراض والأوبئة ووسائل العلاج وأنواع الأدوية، كما جاء عرضها لوسائل العلاج غير العقلاني، عرضًا عامًا يخلو من التمعن والتحليل ومن هنا كان من الأحرى أن تكون دراستها عن الأطباء ودورهم ومكانتهم في المجتمع.

بالإضافة إلى ذلك فقد اعتادت الباحثة "مارجريت هرت راج "خلال دراستها على الانطلاق من العام إلى الخاص في محاولة لتغطية ما تعجز عن تغطيته في الخصوصية المصرية من خلال الانطلاق من الأوضاع الطبية العامة في الإمبراطورية وإسقاطها على مصر؛ لذا فقد اختصت مصر بثلاثة فصول من إجمالي الدراسة التي تبلغ خمسة فصول حيث تناولت في الفصلين الأول والثاني مقدمات تاريخية عامة عن تاريخ الطب وإشكالياته وأوضاعه في العالم اليوناني – الروماني.

وفي عام ٢٠١١م صدرت دراسة أخرى باللغة الإنجليزية للباحثة "جان لويس دراي كوت" Jane Louise Draycott وهي أطروحة تقدمت بها للحصول على درجة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة نوتينجهام وكانت بعنوان: Approaches to Healing in Roman Egypt، ولعل هذه الدراسة كانت أكثر عمقًا من الدراسة السابقة في فهم هدفها، ويتضح من خلال عنوانها أنها تسعى لتحديد السبل المختلفة للعلاج في ذلك الوقت وليس دراسة الطب بوجه عام، وقد نجحت الباحثة في توضيح ذلك بجلاء من خلال تقسيم الدراسة إلى جزئين، حيث تناولت في الجزء الأول الأطباء ووسائل العلاج حيث خصصت الفصل الأول لدراسة فئات وأنواع الأطباء سواء الأطباء العموم أو أطباء المعابد، ثم جاء الفصل الثاني لتناول بدائل الشفاء المعتادة من خلال استخدام السحر والدين في العلاج، ومن هنا فإن الدراسة قد أوضحت في الفصل الأول ما عرف بالطب العلمي العقلاني وفي الفصل الثاني ما عرف بالطب غير العقلاني ، أما الجزء الثاني فقد خصصته الباحثة لدراسة حالتين مرضيتين بإمعان هما الحمى وأمراض العيون من خلال استعراض العلاج الطبي – الديني – السحري لكلٍّ منهما.

ولا يؤخذ على هذه الدراسة سوى أنها تقتصر على دراسة علاج الحمى والعيون لا غير في محاولة لاستعراض مثلين محددين كانا الأكثر شيوعًا من بين الأمراض، وما يخصنا في دراستنا هنا أن هذه الأطروحة التي قدمتها دراي كوت قد استندت على مختلف المصادر المتاحة ولم تقتصر على البردي فحسب حيث اعتمدت على المصادر الأدبية والأثرية ووثائق البردي؛ كما أنها تمتاز بالتوازن العلمي الجيد بين الطب المصري القديم والطب الإغريقي وتخلو من نعرة التفوق على الآخر التي تناثرت في ثنايا دراسة مارجريت هرت راج سابقة الذكر.

ولسنا هنا بصدد تحليل مختلف الدراسات السابقة التي جاءت في شكل بحوث متنوعة، لكننا لا نغفل في الوقت نفسه تلك الدراسة العربية التي قدمتها الباحثة حنان السيد يوسف عن «مدرسة الإسكندرية الطبية في العصرين البطلمي والروماني»،

وهي أطروحة للماجستير قدمت الى جامعة الإسكندرية وقد صدرت عام ٢٠٠٩م في كتاب بعنوان مدرسة الإسكندرية الطبية ، إلا أنها بعيدة تمامًا عن نهج دراستنا حيث ترتكز على المصادر الأدبية دون غيرها وكانت دراسة متعمقة لما جاء في كتابات أطباء الإسكندرية الكبار عن الطب وعلومه ومبادئه وطرق علاج الأمراض الشائعة، وهي بذلك دراسة متخصصة عن المدرسة الطبية بالإسكندرية فى ضوء كتابات الأطباء.

ومهما يكن من أمر فقد سعى الباحث لإعداد دراسته من خلال دراسة وثائق البردي واستقرائها وربطها بالسياق التاريخي والاجتماعي العام في مصر خلال العصر الروماني؛ وذلك بغرض إيجاد المنهج العلمي الملائم لفكرة الدراسة مع مراعاة تحليل الوثائق بشكل موضوعي دون تحميل النص أكثر من مضمونه. وقد أدرك الباحث ضرورة استخدام المنهج الملائم للدراسات البينية، فلم يغرق نفسه كثيرًا في المسائل الطبية البحتة مدركًا أنه باحثًا في التاريخ، وليس طبيبًا.

ومن هنا فقد قام الباحث بتقسيم الدراسة إلى ثلاثة فصول تسبقها مقدمة وتمهيد وتنتهي بخاتمة، وكانت دراسة الطب في العصر البطلمي هي الأنسب للحفاظ على السياق التاريخي من خلال تناوله في تمهيد الرسالة.

ويتناول **الفصل الأول وعنوانه "الأمراض"** أسباب الأمراض وأنواعها وتأثيرها على المجتمع المصري في ضوء وثائق البردي المتاحة وهي دراسة في حد ذاتها – متفردة عن بقية الأطروحات، حيث ترصد أنواع الأمراض وعلاقتها بالمجتمع من خلال دراسة أسباب الأمراض وأنواعها وأهم الأوبئة والآثار المترتبة عليها والثقافات المختلفة في التعامل مع المرض وأثر الأمراض المتنوعة على الأحوال الاقتصادية والعلاقات الاجتماعية والأسرية.

ثم جاء الفصل الثاني وعنوانه "الأطباء وممارسة المهنة" بداية بالتعليم الطبي، وممارسة المهنة وأخلاقياتها ، ثم يكشف النقاب عن أنواع الأطباء الممارسين

ودور الدولة في تنظيم مهنة الطب، وأخيرًا دراسة الأوضاع العامة للأطباء ومكانتهم الاجتماعية.

وأخيرًا جاء الفصل الثالث بعنوان "العلاج" حيث تناول طرق الوقاية من المرض على اعتبار أنها الخطوة الأولى للعلاج، بالإضافة لاستعراض طرق العلاج المختلفة باستخدام الأدوية والجراحة، ووسائل العلاج التي استندت على الكهنوت والسحر فيما يعرف بالطب الروحاني، ومن خلال ذلك نطرح العديد من الإشكاليات حول أسباب اللجوء إلى هذا النوع من العلاج، وإلى أي مدى تفاعلت الوسائل المختلفة في العلاج من أجل الوصول إلى الشفاء.

وفي النهاية جاءت الخاتمة لنرصد من خلالها أهم النتائج التي خلصت إليها الدارسة ثم تزييلها بمجموعة من الملاحق ذات الصلة وبعض الجداول والصور.

لقد واجه الباحث صعوبات جمَّة تكمن في توافر العديد من الوثائق البردية والنقوش والشقف بالإضافة إلي البحوث والمراجع الأجنبية في هذا الشأن والتي تطلبت الكثير من الوقت والجهد، وجد الباحث نفسه في نهاية المطاف أمام كم هائل من المادة العلمية؛ مما كان يتطلب إعادة قراءة الموضوع وإيجاد الحلول المنهجية لاحتواء المادة العلمية وعرضها بالشكل اللائق.

وفيما يخص وثائق البردي المتناثرة فغالبًا ما كانت تحتوي على تعبيرات ومصطلحات طبية متخصصة فيما يتعلق بالوصفات المختلفة وبالإضافة إلي ذلك وجد الباحث صعوبة كبيرة في استخراج الأمراض من ثنايا الوثائق حيث كان أغلبها يكتنفه الغموض.

لا يسعني في النهاية إلا أن أتقدم بخالص شكري لأساتذتي الأجلاء بقسم التاريخ – كلية الآداب – جامعة عين شمس، كما أتقدم بخالص الشكر والوفاء للأستاذ الدكتور/ حسن الإبياري الذي لم يبخل بكثير من النصائح والمعلومات القيمة بشأن هذا العمل، كما أتقدم بخالص شكري وتقديري للأستاذة الدكتورة/ نهى عبد العال